الرياض

الأحد 22 ربيع الأول 1426هـ - 1 مايو 2005م - العدد 13460

الزيارة التاريخية والتبعات الاقتصادية

*د. عبد الوهاب بن سعيد القحطاني

مهما كانت الأسباب وراء الخلافات وتفاوت وجهات النظر السعودية والأمريكية فإننا نعرف حقيقتين عن علاقات البلدين. الحقيقة الأولى هي أن المملكة صديق تاريخي تستطيع أمريكا الاعتماد عليه سياسياً واقتصادياً. والحقيقة الثانية هي أن أمريكا ستبقى الشريك الاقتصادي القوي الذي يفيدنا ونفيده من خلال تبادل المصالح المشتركة بغض النظر عن الخلافات الثانوية والرئيسة. من هذا المنطلق تعتبر زيارة ولي العهد صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز تاريخية، حيث أعادت الروح والانسجام والدفء إلى العلاقات السعودية-الأمريكية التي بدأت منذ أكثر من ستين عاما. فالمراقب للساحة السياسية والاقتصادية الدولية يدرك أنها بالفعل كانت زيارة ناجحة وستحقق الكثير من الأهداف الإستراتيجية للسعوديين وشركائهم الأمريكيين الذي يعدون الأكثر تأثيراً في القرارات السياسية والاقتصادية في الاقتصاد العالمي. شعرنا بدفء العلاقات في الاستقبال الحميم لسمو ولي العهد من قبل الرئيس جورج بوش الابن وبعض أهم أركان إدارته الذين استقبلوا سموه والوفد المرافق له في مزرعة الرئيس بوش في كرافورد بتكساس.

حقيقة أعتبر هذه الزيارة غير تقليدية وناجحة بكل المقاييس لأنها متعددة الأهداف التي أهمها انضمام المملكة إلى منظمة التجارة العالمية بنهاية 2005م أو في الربع الأول من 2006م إن شاء الله مما يساعدنا في المملكة على توسيع القاعدة الاقتصادية وتطوير القطاع الخاص للمنافسة العالمية، وبالتالي نطور الجودة والإنتاجية في المملكة. ومن الأهمية بمكان أن ندرك أن السياسة والاقتصاد توأم لا يمكن فصلهما عن بعضهما، بل انهما يؤثران في بعضهما بشكل مباشر وواضح. وأعتقد أن السياسية إلى حد كبير تتحكم في مناخ الاستثمار وتوجهه، لذا سيكون لهذه الزيارة تبعات اقتصادية إيجابية مشجعة للمملكة وللشركات الأمريكية التي ترغب في الاستثمار في بلادنا مما يتيح الفرصة للكثير من شبابنا للعمل فيها.

ومن المؤكد أن الرئيس بوش يقدر جهود المملكة في محاربة الإرهاب الذي يعد من أكثر عقبات التنمية الاقتصادية على مستوى المملكة والعالم لأن القضاء على الإرهابيين ومنابعهم يساعد بلا شك على الاستقرار الأمني والحفاظ على التدفق النفطي إلى الدول الصناعية وفي مقدمتها الولايات المتحدة التي تعتبر المحرك الرئيس للدول الصناعية العظمى. حرص المملكة على دعم الاقتصاد العالمي واستقراره يزيد من ثقة العالم بها ويحرك تدفق الاستثمارات منها وإليها. فالأمريكيون على وجه الخصوص يحتاجون للطمأنينة النفسية حول إمدادات البترول بالمعدل الذي يساعد على النمو والاستقرار الاقتصادي في العالم، وهذا بالفعل ما حصلوا عليه من وعد صادق لسمو ولي العهد الذي يعتبره الرئيس بوش من السياسيين الصادقين والشفافين

في العالم. ولقد وضحت الزيارة موقف المملكة من الإرهاب الذي يعتبر أهم عقبة نحو النمو والتكامل الاقتصادي العالمي مما يزيد من تدفق الاستثمارات الأمريكية إلى المملكة وخلق الوظائف للسعوديين في الشركات الأجنبية التي تستثمر في المملكة، وكذلك تسهيل نقل التكنولوجيا الحديثة التي تسهم في التقدم الصناعي بالمملكة.

ومن يقرأ التاريخ جيداً يعرف أن العلاقات السعودية-الأمريكية مرت بهزات قليلة أهمها المقاطعة البترولية في منتصف السبعينات من القرن الماضي بسبب مؤازرة الولايات المتحدة لإسرائيل، والهزة الأخرى كانت رد فعل غير عادل ضد المملكة على ما قام به عدد من الانتحاريين الإرهابيين في الحادي عشر من سبتمبر 2001م عندما دمروا بطائرتين مدنيتين برجي التجارة العالمية في نيويورك مما أحدث شرخاً وفتوراً مؤقتاً في العلاقات السعودية-الأمريكية بسبب الانتهازيين الحاقدين الذي حاولوا استغلال الحدث لتقويض العلاقات الحميمة التي برزت وتطورت بين البلدين منذ حوالي ستة عقود.

وستعود المياه إلى مجاريها لأن هذه الزيارة التاريخية أثبتت للأمريكيين حسن نوايا السعوديين ومصداقية السياسة السعودية فيما يتعلق بأهمية استمرار وتوطيد العلاقات الثنائية بيننا وبين حليفنا الاقتصادي القديم. ولقد أذابت هذه الزيارة التاريخية الجليد وحققت مكسباً اقتصادياً للمملكة عندما وعد الأمريكيون سموه بالتعجيل في انضمام المملكة لمنظمة التجارة العالمية. وأستطيع القول أن الفرصة كانت مناسبة عندما طلب السعوديون من شركائنا الأمريكيين الدعم لانضمامنا لمنظمة التجارة العالمية.

وهذا إنجاز سياسي كبير للقيادة السعودية لم تستطع مفاوضاتنا التجارية الثنائية مع الطرف المفاوض التجاري الأمريكي تحقيقه بهذه السرعة لأن الحنكة السياسية السعودية وانتهاز الفرصة وتفهم ما يدور في العالم جعل مطلب الانضمام سهلاً ومنطقياً، حيث يترجم مضمون الرسالة السعودية بأننا سندعم الأمريكيين للحفاظ على تدفق البترول بكميات وأسعار معقولة تخدم المستهلكين والمنتجين، بحيث يدعمون في المقابل انضمامنا لمنظمة التجارة العالمية.

وهناك جانب مهم للزيارة يتعلق بتطوير الإنسان السعودي عندما تكتسب الإجراءات الأمريكية مرونة أكثر مما هي عليه الآن بخصوص مجال ابتعاث الطلاب والمتدربين إلى الولايات المتحدة، حيث سيكون لهذا القرار أثار إيجابية على الجامعات السعودية التي تواجه مشكلة في الابتعاث إلى أمريكا. وسيزداد عدد المبتعثين بعد تذليل عقبات تأشيرات الدخول إلى الولايات المتحدة للالتحاق بالجامعات والمعاهد ومراكز التدريب. هذه الزيارة طرحت اهتمامات السعوديين بالقضايا الاقتصادية بشكل مباشر ومقبول للأمريكيين الذين لم يبدوا خلافاً للرأي السعودي حول العديد منها. وسيكون لتسهيل إجراءات التأشيرة والدخول إلى أمريكا تبعات إيجابية على التبادل التجاري بين البلدين لأن رجال الأعمال السعوديين سيجدون مرونة أكثر في الحصول عليها والسفر لعقد الصفقات التجارية بسرعة كافية توفر عليهم الوقت والجهد والتعب مما يساعدهم على اقتناص الفرص، وكذلك الأمر بالنسبة للمرضى الذين يرغبون تلقي العلاج في المستشفيات والمراكز الطبية المتقدمة في الولايات المتحدة الأمريكية.

وخلاصة هذه الزيارة الناجحة أنها ستحقق للمملكة تقدماً ملحوظاً عندما وعدنا الرئيس بوش بالدعم للانضمام لمنظمة التجارة العالمية قبل نهاية 2005م، وذلك لنعلب دورنا المأمول في التجارة الدولية التي يجب أن نستعد لما ينتج عنها من تحديات للكثير من قطاعات الأعمال، لكننا بلا شك سنكسب الكثير من الفوائد عندما نتمتع بعضوية المنظمة. ودعونا ننظر للنصف المليء من الكأس بدلاً من النصف الفارغ. ودائما يكون النصف المليء من الكأس قريباً من قاعدته التي تدعمه، وكذلك الوضع بالنسبة للفوائد الناتجة عن الانضمام والتي تدعمها السياسات التجارية السعودية الفاعلة. فالفوائد للمملكة من الانضمام مرتبطة بهيكلة للسياسات الاقتصادية والتجارية لتدعم المملكة وتحافظ على مصالح الشريك التجاري الأمريكي وغيره بعدالة وشفافية، وبذلك نكسب ثقة المجتمع الدولي بما فيه مجتمع الأعمال.

- أستاذ الإدارة الاستراتيجية والتسويق المساعد بجامعة الملك فهد للبترول والمعادن